

الأول 1379هـ/نوفمبر 1959م، مج 5، 5/275

د. محمد فؤاد الزكري  
باحث في التراث العلمي العربي -  
حلب - سوريا

الشقافي، أبو ظبي 1424هـ/2003م،  
598/9؛ ● كحالة، عمر رضا،  
معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بيروت،  
د.ت، 2/308؛ ● المنجد، صلاح الدين،  
مصادر جديدة عن تاريخ الطب عند العرب،  
مجلة معهد المخطوطات العربية، جمادى

### زُفَر بن الحارث، أبو الهذيل

(ت. نحو 75هـ/695م)

**هو** القائد الشاعر أبو الهذيل زُفَر بن الحارث  
ابن عبد عمرو بن معاذ، ويرقى نسبه إلى  
عمرو بن كلاب الكلابي. كان زفر في الطبقة  
الأولى من التابعين، سمع عن عائشة وميمونة  
ومعاوية [البغدادي، خزائن الأدب، 2/372؛  
الأسترباذي، شرح شافية ابن الحاجب،  
4/300]. وروى عنه ثابت بن الحجاج  
[السيوطي، شرح شواهد المغني، 2/931].  
ويذكر الصفدي أن زفر كان مقيمًا بالبصرة، وأنه  
خرج مع جيشها لإعانة عثمان في الحصار  
[الوافي بالوفيات، 14/200]. وعندما وقعت  
معركة الجمل (36هـ/656م) بين أنصار الإمام  
عليّ من جهة، وأتباع عائشة زوج النبي ﷺ  
وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام من جهة  
أخرى، كان زُفَر على رأس قومه، ويُشيد الطبري  
بحسن بلائهم في تلك المعركة يقول: إن الزمام  
(زمام الجمل الذي كان عليه هودج السيدة عائشة)  
مع زُفَر بن الحارث، وكان أجَرَ من أعقب في  
الزمام، وأجَرَ من قاتل في ذلك اليوم، فلا والله  
ما بقي من بني عامر مكتهل إلا أصيب قدام  
الجمل، يتسرّعون إلى الموت، وزُفَر يرتجز  
ويقول:

يا أُمَّنا، يا عَيْشَ، لَنْ تُراعي  
كُلَّ بَنِيكَ بَطَلٌ شُجاعٌ  
لَيْسَ بِوَهَامٍ ولا بِراعي  
[تاريخ، 4/526، 527؛ وفي الشطر الثاني  
إقواء]. ويذكر ابن الأثير أن زفر كان على بني  
عامر وغطفان في معركة الجمل [الكامل، 3/  
241]، ويورد الرجز السابق، مع بعض اختلاف  
وتسكين رويته: يا أُمَّنا، مِثْلُكَ لا يُراعُ/...  
شجاعٌ/ كَيْسَ بِوَهُواهُ ولا بِراعُ [الكامل،  
3/253]. ويُشير هذان المصدران إلى ما تلا  
ذلك، عند الاتفاق على وقف القتال: قال  
الققعق بن عمرو (من رؤساء الكوفيين، وكان  
مجاهدًا لزفر في تلك المعركة) لمن يليه: أنتم  
أمنون. واجتمع هو وزفر على قطع بطان البعير،  
وحملا اليهودج فوضعا، ثم أطافا به، وفرّ من  
وراء ذلك من الناس. وأضاف ابن الأثير أن  
اليهودج كان كالتنفذ لما فيه من السهام [الكامل،  
3/253].

وبعد معركة الجمل، انتقل زفر إلى الشام، وشهد  
وقعة صفين (37هـ/657م) مع معاوية (ت 60هـ/  
680م)، أميرًا على أهل قنسرين، ويبدو أنه

ستعني خسارة لا تعوّض.  
وبعد قرن من الزمن، زار ابن أبي أصيبعة القاهرة  
لتحصيل العلم، فأخبرنا بأنه وجد تلك المجلدات  
على حالها، فقال: «وجدت كتبًا كثيرة من الكتب  
الطبية وغيرها عليها اسم إفراتيم، وألقاب  
الأفضل أيضًا» [عيون الأنباء، 568]، وكانت  
تركة ابن الزفان من الكتب تزيد على عشرين ألف  
مجلد، ومن الأموال النعم شيئًا كثيرًا جدًا.

غفل المؤرخون عن تناول حياة ابن الزفان  
باستثناء مصدر وحيد هو «عيون الأنباء»، الذي  
أغفل أيضاً ذكر وفاته.

وقد ذكر كحالة في [معجم المؤلفين،  
2/308] بأن ابن الزفان كان حياً  
قبل (453هـ/1061م)، وهو رقم تقريبي يتعد  
عن الحقيقة بوناً شاسعاً، فقراءة متأنية ومدققة  
لسيرة حياته الموجزة التي وردت في «عيون  
الأنباء»، تكشف لنا حقائق واضحة، تتمثل بأن  
صاحب الترجمة عاصر فترة ولاية الوزير  
الأفضل شاهنشاه السابق ذكره، والذي تولي  
الوزارة بعد وفاة أبيه بدر الجمالي عام  
(487هـ/1094م)، وكانت مدة ولايته ثمانية  
وعشرين سنة، توفي ابن الزفان خلالها، فمن  
المنطقي أن تكون وفاته بعد عام (487هـ/  
1094م)، لا في التاريخ الذي ذكره كحالة،  
كما تولي ابن الزفان تدريس العلوم الطبية،  
وكان مهتماً بتدريس كتب جالينوس الطبية،  
وكان من تلامذته الطبيب سلامة بن رحمون (ت  
نحو 530هـ/1135م).

### ابن أبي أصيبعة

● ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات  
الأطباء، منشورات دار مكتبة الحياة،  
بيروت 1965م، 567 - 568؛ ● العمري،  
ابن فضل الله، مسالك الأَبصار في ممالك  
الأمصار، تج. بسام محمد بارود، المجمع

ليضمن الحصول على نسخ مخطوطة جيدة  
الخط ومفهومة العبارة، فيأمن بذلك من حدوث  
التصحيف أو التحريف وهما آفة النساخ،  
وطالما كانت شكوى القراء والباحثين.  
ومن الطبيعي أن يتفق على هؤلاء النساخ من جيبه  
الخاص، ولا ريب بأن دخله المالي الجيد كان  
يساعده على إنجاز مهمته الثقافية، أضف إلى أنه  
يقوم بنفسه بعملية النسخ.

ومن جملة مجموعة النساخ الذين كانوا يقومون  
بالنسخ ناسخ كان يشتهر بجودة خطه وتأنقه  
وهو: محمد بن سعيد بن هشام الحجري  
المعروف بابن ملساق، وقد صادف المؤرخ  
والطبيب الدمشقي ابن أبي أصيبعة (ت 668هـ)  
أثناء إقامته في القاهرة، كتباً طبية عديدة بخطه،  
وعليها تأشيرة ابن الزفان بما يفيد أنه قرأها  
واطلع عليها.

ظلت مسألة نسخ الكتب ممتدة زمنًا طويلاً من  
العصور الإسلامية، وشملت كثيراً من الأقطار  
الإسلامية التي عرفت بميل أهلها إلى العلم  
والأدب، ومن الطبيعي أن تكون للقاهرة شهرة  
واسعة في هذا الفن، ولاسيما في العصر  
الفاطمي، وهذا ما دعا تجار الكتب (المخطوطة)  
لزيارتها وشراء ما يحتاجونه منها.

وقد صادف ابن الزفان تاجراً عراقياً قدم الديار  
المصرية لهذا الغرض، فراه مكتبته العامرة  
بمجلدات العلم والأدب، فاتفق معه على شراء  
نصفها أي مقدار عشرة آلاف مجلد، لقاء مبلغ  
محترم من المال، ولكن الوزير وأمير الجيوش  
المصرية أحمد بن بدر الجمالي الملقب بالأفضل  
شاهنشاه (ت 515هـ/1121م)، أفضل الصفقة  
المعقودة، فأرسل إلى ابن الزفان ودفع له الثمن  
المتفق عليه، ونقل تلك المجلدات إلى خزائنه،  
وبقيت تلك الكتب المخطوطة في القاهرة،  
وعبر هذا الوزير الأريب عن إحساس عال  
بالمسؤولية لإدراكه بأن فقدان تلك الكتب

## ديوان

« زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ الْكِلَابِيِّ »

Züfer b. Haris

## صَنَعَةٌ

الدكتور رضوان محمد حسين النجار  
الاستاذ المشارك بقسمي الأدب والدراسات العليا  
كلية اللغة والأدب العربي بتلمسان - الجزائر

١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

## فهرس المصادر والمراجع للمقدمة والنص المحقق

- ١ - الأعلام ، الجزء ( ٢ + ٦ ) لخير الدين الزركلي ، الطبعة الخامسة ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٠ م .
- ٢ - الاعتماد في نظائر الظاء والضاد ، لجمال الدين محمد بن مالك ت ٦٧٢ هـ ، تحقيق د. حاتم صالح الضامن ط ٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٤ م .
- ٣ - الأمثال ، لأبي القاسم بن سلام ت ٢٢٤ هـ ، تح د. عبد المجيد قطامش ط ١ ، جامعة الملك عبد العزيز دار المأمون للتراث ، دمشق ، ١٩٨١ م .
- ٤ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، لجلال الدين السيوطي ت ٩١١ هـ ، تح محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط ١ ، مطبعة عيسى الباني الحلبي ، ١٩٦٤ م .
- ٥ - تاريخ الأدب العربي ، لكارل بروكلمان ج ٥ ، ترجمة د. رمضان عبد التواب ، مراجعة د. السيد يعقوب بكر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٥ م .
- ٦ - شرح شواهد الشافية للبغدادي ت ١٠٩٣ هـ ، تح محمد نور الحسن ، ومحمد الزفزاف ، ومحمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٧٥ م .
- ٧ - شرح المفصل لابن يعيش ت ٦٤٣ هـ ، ج ٦ ، عالم الكتب ، بيروت ، ومكتبة المتنبي ، القاهرة .
- ٨ - الكتاب ، لسيبويه ت ١٨٠ هـ ، تح عبد السلام محمد هارون ج ٤ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ م .
- ٩ - لسان العرب ، لابن منظور الافريقي المصري ت ٧١١ هـ ، دار صادر ، بيروت .
- ١٠ - مجمع الأمثال ، لأبي الفضل أحمد بن ابراهيم الميداني ت ٥١٨ هـ تح محمد محيي الدين عبد الحميد مطبعة السنة المحمدية ، ١٩٥٥ م .
- ١١ - المدارس النحوية ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، ط ٢ ، ١٩٧٢ م .
- ١٢ - المذكر والمؤنث ، لأبي البركات الأنباري ت ٥٧٧ هـ ، تح د. رمضان عبد التواب ، وزارة الثقافة ، الجمهورية العربية المتحدة ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٧٠ م .
- ١٣ - معجم قبائل العرب ( ١ - ٣ ) لعمر رضا كحالة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٨ م .
- ١٤ - المفصل في علم العربية ، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ت ٥٣٨ هـ ، ط ٢ ، دار الجيل ، بيروت .

## ■ زفر بن الحارث

(.... نحو ٦٥هـ / ... ٦٩٥م)

أبو الهذيل زُفر بن الحارث بن عبد عمرو بن معاذ بن يزيد بن عمرو بن الصعق بن خليل بن فضيل بن عمر بن كلاب، يقال له أبو عبد الله الكلابي.

من الطبقة الأولى من التابعين، من أهل الجزيرة، وكبير قيس، وكان من الأمراء. سكن البصرة، وخرج مع جيشها لإعانة عثمان بن عفان في حصار الفتنة.

شهد موقعة الجمل مع السيدة عائشة، وكان على بني عامر في آخر من قاتل يومها. وتوجه إلى الشام بعدها، ثم شهد معركة صفين مع معاوية بن أبي سفيان وكان أميراً على قنسرين فأمره على ميمنة جيش الشام.

ولما اعتزل معاوية بن يزيد بن معاوية الخلافة كان على دمشق الضحاك بن قيس الفهري، وكان يهوى هوى عبد الله بن الزبير فبايعه، وبايعه أيضاً زُفر بن الحارث في قنسرين، والنعمان بن بشير الأنصاري في حمص، ونائل بن قيس في فلسطين.

وعندما بايع الناس مروان بن الحكم سار من الجابية إلى مرج راهط التي احتشد فيها جيش الضحاك بن قيس فطلب الضحاك المدد من زُفر ونائل والنعمان فأجابوه.

انتهت المعركة بهزيمة الضحاك، وأصيب فيها لزُفر بن الحارث ثلاثة بنين، فهرب إلى قرقيسياء (عند مصب نهر الخابور في الفرات) وعليها عياض الجرشية، فمنعه دخولها حتى استوثق منه العهود، فدخلها، واجتمعت له بنو قيس، فأخرج عياضاً منها وتحصن بها.

وبعد مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب، في كربلاء، أراد سليمان بن صرد أن يثار له، فتحرك بجيشه لقتال الأمويين وعند اقترابه من قرقيسياء طلب من زُفر أن يخرج له سوقاً من المدينة ليتبضع ويأخذ حاجته منها، فأخرج له الأسواق والأعلاف والطعام الكثير. بعد أن اطمأن إلى عرضه.

وأخرج للعسكر عيراً عظيمة وشعيراً فاحتملوا منها كفايتهم، وعرض زُفر على سليمان القتال معه أو أن يتحصن في مدينته فأبى سليمان ذلك، فأشار عليه زُفر أن يبادر عدوه إلى عين الوردة، فيكون الطعام والماء في أيديهم ويكونوا بينها وبين قرقيسياء فيصبحوا آمنين، فنزل سليمان على رأي زُفر وعسكر في المدينة لايرح.

وكان زُفر يعين مصعب بن الزبير في العراق، وكان يكفيه قتال أنصار الأمويين، فلما مات مروان بن الحكم وولي ابنه عبد الملك كتب إلى أبان بن

عقبة بن أبي معيط، وهو على حمص، يأمره أن يسير إلى زُفر، وكان بينهم سجال، وقتل لزُفر ابنه وكيع في هذا القتال.

وحينما سار عبد الملك إلى مصعب في العراق قصد قرقيسياء بنفسه، وحاصر زُفر فيها، ونصب عليها المنجنيق، وكانت القيسية في جيش عبد الملك يميلون إلى زُفر فكان لزُفر جولات مع جيش عبد الملك.

ثم أمر عبد الملك أخاه محمداً أن يعرض على زُفر وابنه الهذيل الأمان ومن معهم وما يحبون، فأجاب الهذيل ابن زُفر لذلك، وأخذ يقنع أباه، واستقر الصلح على أن يعطى له الأمان فلا يبايع عبد الملك حتى وفاة الزبير، ولا يعينه على قتاله، ونزل زُفر إلى عبد الملك، بعد أن استوثق منه الأمان وأنه لن يغدر به، وكان زُفر حينها في قلعة، فلما رأى عبد الملك ذلك قال: لو علمت ذلك لحصرت حتى نزل تحت حكمي، فقال زُفر: لو شئت رجعتنا ورجعت، فقربه عبد الملك منه، وتزوج مسلمة ابن عبد الملك رباب بنت زُفر بن الحارث، وأمر زُفر ابنه الهذيل بالسير مع عبد الملك لقتال مصعب بن الزبير.

وبقي زُفر بن الحارث على قرقيسياء حتى توفي فيها.

جواد الترجمان

## مراجع للاستزادة:

- ابن الأثير، الكامل في التاريخ (دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٧٦).
- صلاح الدين خليل بن أيبك الصمدي، الوافي بالوفيات (مطابع دار صادر، بيروت ١٩٦٢).
- ابن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك (دار سويدان، بيروت).

## الموضوعات ذات الصلة:

عبد الملك بن مروان.

## ■ زفراف (محمد -)

(١٣٦٥-١٤٢٢هـ/١٩٤٦-٢٠٠١م)

محمد زفراف، كاتب مغربي، وُلد في «سوق الأربعاء»، وتلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في القنيطرة، من مدن المغرب، ولم يكمل دراسته

الجامعية، عمل مدرساً في الثانويات، وعاش في الدار البيضاء حتى وفاته. في عام ١٩٧٠ أصدرت وزارة الثقافة السورية المجموعة القصصية الأولى

لمحمد زفراف: (حوار في ليل متأخر)، وقد انطوت على بذور جمّة للعالم القصصي والروائي للكاتب: الطفولة والموت والمرأة والقاع الاجتماعي